نصوص مستعادة من الجزء المفقود من كتاب "مطامح الأفهام" لابن بزيزة من خلال "شرح الأنوار السنية" للقمارشي

الباحثة: ناهد خالد
طالبة في سلك الدكتوراه
تحت إشراف: أ.د. يونس ضيف
جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق
المغرب

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة قضية استعادة النصوص التراثية المفقودة في الغرب الإسلامي نتيجة النكبات التاريخية، وتتخذ من مخطوط "شرح الأنوار السنية" لمحمد بن إبراهيم القمارشي (ت: نحو 860هـ) أنموذجاً تطبيقياً.

ويهدف البحث بصفة رئيسة إلى استعراض وتوثيق خمسة عشر نصاً نادراً وعزيزاً للإمام ابن بزيزة التونسي (ت: 662هـ) من جزئه الأول المفقود من كتابه "مطامح الأفهام في شرح كتاب الأحكام" في أبواب الطهارة والصلاة والزكاة والصيام، والتي صانها القمارشي في ثنايا مخطوطه الفريد الذي لم يسبق دراسته من هذه الزاوية.

واعتمدت الباحثة المنهج الاستقرائي مدعوماً بالمنهج الاسترادي التوثيقي، من خلال تتبع مواضع النقل، ومقابلتها بالمتون المتاحة، وعزوها بدقة.

وقد خلصت الدراسة إلى عدّة نتائج، أبرزها: إثبات القيمة التوثيقية الاستثنائية لمخطوط القمارشي كـ "خزانة استعادة" صانت كنوز التراث من الضياع، وإبراز أمانته العلمية وسعة اطلاعه في النقل المباشر أو عبر الوساطة كالإمام الأُبّي. وتوصي الدراسة بضرورة التفات الباحثين للشروح المتأخرة باعتبارها مستودعات لاسترداد الأصول المفقودة، وإخراج مخطوط القمارشي كاملاً في طبعة محققة.

الكلمات المفتاح: ابن بزيزة، القمارشي، مطامح الأفهام، شرح الأنوار السنية، استعادة النصوص.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد:

تعد قضية ضياع كثير من الأصول العلمية في الغرب الإسلامي من أكبر الفجوات المعرفية التي تواجه الباحث المعاصر، حيث تسببت النكبات التاريخية في فقدان كثير من أمهات الكتب الأندلسية والمغربية وغيرها.

ومن أبرز هذه الفجوات التراثية، فقدان الجزء الأول من كتاب "مطامح الأفهام في شرح كتاب الأحكام للإمام ابن بزيزة التونسي (ت: 662هـ).

وفي ظل هذا الواقع التراثي، يبرز مخطوط "شرح الأنوار السنية لمحمد بن إبراهيم القمارشي (ت: نحو 860هـ) بوصفه وثيقة علمية فريدة حَفِظت شذرات مما ضاع من أصول غيرها.

وتتجلى أهمية هذا البحث في استثمار هذه النسخة الخطية الفريدة لعالم مغمور من علماء القرن التاسع، والذي تحول بمنهجه وأمانته العلمية إلى "خزانة استعادة" صانت في ثناياها نصوصاً مفقودة لابن بزيزة، إذ اعتمد القمارشي على الأصل النبوي، فشرح أحاديث "الأنوار السنية" لابن جزي المستخرجة من الصحيحين، مستعينا بنصوص ابن بزيزة التي شرح بها "الأحكام الصغرى" لـ عبد الحق الإشبيلي.

من هذا المنطلق يهدف البحث بشكل رئيس استعراض وتوثيق خمسة عشر نصاً نادراً لابن بزيزة استُخرجت بعد استقراء دقيق لنسخة القمارشي الخطية الفريدة، سعيًا لترميم الخروم في التراث المفقود وإعادة بناء ملامح فكر ابن بزيزة الحديثي والفقهي.

وتتجلى الأهمية العلمية للدراسة في التعامل مع هذه النسخة التوثيقية التي لم تُدرس سابقًا من هذه الزاوية، فضلاً عن دورها في إحياء شذرات من فكر إمام محقق ضاع بعض تراثه، إضافة إلى الكشف عن شخصية علمية أندلسية مغمورة تميزت بسعة الاطلاع والربط المنهجي، وصولاً إلى المساهمة الفاعلة في سد الثغرات التي أصابت المكتبة المغربية والأندلسية جراء النكبات التاريخية

ولتحقيق هذه الأهداف اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الاستقرائي من خلال:

تتبع مواضع النقل عن ابن بزيزة في الجزء الموجود من مخطوطة "شرح الأنوار السنية" للقمارشي واستخراج النصوص الخمسة عشر.

ثم مقابلة هذه النصوص مع أحاديث متن "الأنوار السنية" مع ما هو متاح من نصوص ابن بزيزة، لإثبات دقة القمارشي ومباشرته للأصل المفقود. وعزو النصوص إلى ورقات المخطوط الفريد بدقة أكاديمية.

المبحث الأول: **التعريف بابن بَزِيزَة والقمارشي وكتابيهما:**

أولًا ــ التعريف بابن بَزِيزَة وكتابه "مطامح الأفهام":

ــ التعريف بابن بَزِيزَة(ت:662هـ)[1]:

هو أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد التيمي التونسي المالكي، الشهير بـــ "ابن بَزِيزَة"، الفقيه، الأصولي، والمتكلِّم، يُعدُّ ابن بزيزة من أعمدة المدرسة العلمية التونسية في القرن السابع الهجري.

وتتجلى مكانته العلمية في موسوعية مصنفاته المشتملة شتى الفنون، من تفسير وعلم حديث وكلام وتصوف وفقه ولغة، وقد حظي بثناء الأعلام عليه، فحلاه أحمد بابا التنبكتي بـــ: " الإمام العلامة المؤلف المحصل الجامع المحقق، نزيل تونس كان –رحمه اللّه– حبراً صوفيًا وعالمًا فقيهًا جليلًا "[2]، كما وصف بـــ: "الحافظ للفقه والحديث والشعر والأدب، الحبر الصوفي"[3].

ومما يبرهن على ريادته العلمية واجتهاده، اعتماد كبار الأئمة على آرائه واختياراته في مصنفاته؛ حيث أكثر النقل عنه التاج الفاكهاني في "رياض الأفهام"، والأُبّي في "إكمال إكمال المعلم"، والحافظ ابن حجر في "فتح الباري"، وغيرهم[4].

ــ التعريف بكتاب "مطامح الأفهام في شرح كتاب الأحكام ":

هو كتاب شرح فيه ابن بزيزة متن "الأحكام الصغرى" للإمام عبد الحق الإشبيلي (ت:581)، حيث جمع فيه الإشبيلي جملة من حديث رسول الله صلى االله عليه وسلم في أبواب الدِّين، من دواوين السنة المشهورة، كالموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والترمذي وغيرها ــ وجعله مختصر الإسناد تيسيرًا لحفظه، وضمَّنه شيئًا من تفسير غريب الحديث وبيان معانيه[5].

وقد تباينت عبارات المترجمين في تسمية الشرح فذُكر له أكثر من تسمية[6]، والصَّواب منها ما صرَّح به مؤلِّفه في كتابه "غاية الأمل في شرح الجمل"[7] بـــ : "مطامح الأفهام في شرح كتاب الأحكام"، و"مطامح الأفهام في شرح كتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق الأزدي".

وتكمن الإشكالية التراثية في أنَّ المتوفر من هذا الكتاب والمنشور حديثاً (طبعة دار أسفار– الكويت، 1444هـ/ 2024، بتحقيق د. إبراهيم وبلوش، هو الجزء الثاني فقط، الذي يبدأ من كتاب الحج ــ مع سقط يسير في أول كتاب الحج ــ وينتهي بـــ كتاب البيوع.

وبناءً عليه، يظل **الجزء الأول** (الذي يشمل أبواب الطهارة والصلاة) في حكم **المفقود تاريخياً**، والدراسة الحالية تسعى لاستعادة نصوص مستقطعة من هذا الجزء المفقود من خلال ما صانه الإمام القمارشي في مخطوطه "شرح الأنوار السنية".

---

(1) ينظر ترجمته: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف،1 :272، ترجمة 671، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، ص268، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 5: 239.

(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص268.

(3) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف،1 :273.

(4) ينظر مطامح الأفهام مقدمة التحقيق، 1: 24.

(5) ينظر منهج عبد الحق في كتابه الأحكام الصغرى، 1 :77.

(6) كـــ: شرح الأحكام الصغرى، و" مصالح الأفهام في شرح كتاب الأحكام "، و" مطامح الأفهام"، و" المطامح". ينظر تفصيل ذلك ما ذكره محقق مطامح الأفهام، 1: 31ــ 33.

(7) 1: 251.

ثانيًا: التعريف بالقمارشي وكتابه "شرح الأنوار السنية":

ـــ التعريف بالقمارشي(ت: قبل 860هـــ):

هو أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عيسى الأندلسي الأشعري، المعروف بـــ القمارشي[8]، نسبةً إلى بلدة قُمارش (Comares) التابعة لإقليم مالقة في الأندلس.

يُعدُّ القمارشي من الشخصيات العلمية المغمورة التي لم تحظَ بترجمة مستقلة في كتب التراجم والتاريخ، فلم يُعرف عنه في المصادر المتاحة إلاَّ النَّزر اليسير، وظلَّت أخباره مستورة في ثنايا آثاره العلمية، أو فيما دوّنه تلميذه البلوي الوادي آشي (ت: 938هـــ) في "ثبته"[9] واصفاً إياه بـــ "الأستاذ المصنّف أبي القاسم القمارشي".

وقد كشفت النسخ الخطية لآثاره عن مكانته العلمية الرفيعة، حيث نُعت بـــ "الشيخ، المقرئ، الفقيه، المتفنن، الحافظ، الرَّاوية، المحدِّث، مما يشير إلى قوة تمكنه من علوم الرواية والدراية في الغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري.

ـــ التعريف بـــ كتاب"شرح الأنوار السنية":

ترك القمارشي أثرين علميين يمثلان ركيزة العلوم الشرعية:

الأول في علوم القرآن: كتابه **"**قصد السبيل في معرفة أسباب التنزيل"[10]، وهو مصنَّف يُعدُّ من الكنوز الأندلسية النادرة التي استوعبت أسباب النزول بدقة ومنهجية.

الثاني في الحديث الشريف: "شرح الأنوار السنية"، شرح فيه المتن الحديثي الذي وضعه الإمام ابن جزي الغرناطي (ت: 741هـــ)، وسماه: "الأنوار السنية في الألفاظ السنية".

ويمثّل متن " الأنوار السنية" أنموذجاً فريداً في الفكر الأندلسي لما يُعرف بـــ التربية بالتأليف، حيث وضعه ابن جزي لولده أحمد تقريباً للسنة النبوية وتيسيراً لحفظها بعد القرآن الكريم.

ولِمكانة متن الأنوار، حظي بعناية علماء الغرب الإسلامي، ومن أبرز العلماء الذين اعتنوا بهذا المتن وشرحوه غير القمارشي:

ـــ أبو عبد الله الـــمُنتوري، محمد بن أحمد بن عبد الملك القيسي (ت: 834هـــ) في كتابه: "مناهج العلماء الأحبار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار."

ـــ وعلي بن محمد القلصادي الغرناطي (ت: 891هـــ) وسماه "لبّ الأزهار اليمنية على الأنوار السَّنية"، وهو شرح مختصر.

وقد تميز شرح القمارشي بخصائص منهجية ميزته عن شرحي (القيسي والقلصادي)، ومن أبرزها:

- سلك في شرحه منهجاً مطرداً متكاملاً يوازن بين علوم الرواية وفقه الدراية، ملائماً بذلك طبيعة المتن المشروح.
- صاغه بأسلوب جمع فيه بين وضوح العبارة وعمق الاستنباط، وسطًا دون استطراد مطنب أو اختصار مخل.

([8]) هو الاسم الذي دوّنه المؤلف بخط يده في خاتمة كتابه "قصد السبيل في معرفة أسباب التنزيل للقمارشي، ص717.

([9]) ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، ص 184.

([10]) مطبوع بتحقيق محمد شايب شريف، دار ابن حزم، ط1، 2023.

- اعتمد فيه النقل عن كبار أئمة المدرستين المشرقية والمغربية في شتى الفنون كالواحدي، والرَّازي، والقرطبي، وابن عطيِّة، وابن جزي، والنووي، وابن الجوزي، والقاضي عياض، والمازري، ... وغيرهم، مما جعل كتابه مرآة لثراء المكتبة الأندلسية في عصورها المتأخرة.

وتكمن القيمة الاستثنائية لهذا المخطوط في حفظه لنقولٍ عزيزة صانها من الضياع، ومنها نصوص الإمام ابن بزيزة من كتابه "مطامح الأفهام شرح الأحكام" في جزئه الأول المفقود تاريخياً.

وقد اتخذ القمارشي من شرحه وسيلة لاستعادة شذرات من فكر ابن بزيزة المفقود وتوظيفه في بيان الألفاظ السنية، مستثمراً وحدة الأصل الحديثي بين المتنين إذ متن "الأنوار السنية" مستخلص من الصحيحين، وشرح ابن بزيزة قائم على أحكام الإشبيلي المستخلصة منهما ومن غيرهما.

ويلاحظ من خلال تتبع منهج القمارشي التوثيقي في نقل آراء ابن بزيزة أنَّه سلك مسلكين:

1ــ النقل المباشر من الجزء الأول المفقود من "مطامح الأفهام" بدليل قوله: قال ابن بَزِيزَة في "شرح الأحكام"، مما يدل على وقوفه المباشر عليه.

2ــ ومواضع أخرى النقل بالوساطة عبر الإمام الأُبّيّ في كتابه "إكمال إكمال المعلم"، حيث استثمر القمارشي استيعاب الأُبّيّ لنصوص ابن بزيزة التونسي وتوظيفه لها في شرح صحيح مسلم.

ولا شك أن هذا التنوع التوثيقي يعكس سعة اطلاع القمارشي على النتاج الحديثي في عصره، ويمنح دراستنا هذه خيطاً منهجياً دقيقاً للتمييز بين نقله المباشر ونقله بالوساطة.

المبحث الثاني: المادة المستعادة من كتاب "مطامح الأفهام"

يقدِّم هذا المبحث النصوص المستعادة من كتاب "مطامح الأفهام" لابن بزيزة، مرتبة وفق ورود أصولها الحديثية في متن الشرح، مع ذكر اسم الكتاب والأبواب الفقهية التي احتوتها، ثم توثيق كل نصٍّ بعزوه إلى مكانه في المخطوط.

أولًا : ما جاء في كتاب الاعتقادات في أصول الديانات: باب الإسلام والإيمان

1ــ **الأصل الحديثي:** قوله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله، فمَنْ قال: لا إله إلَّا الله، فقد عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، و نَفْسَهُ، إلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ على الله»[11].

النص المستعاد: قال القمارشي عند شرحه لقوله: (إلاَّ بحقِّها): "قال ابن بَزِيزَة: معناه: إلاَّ أنْ تجري عليهم الأحكام بإباحة ما عصم شرعًا، وهي ارتكاب أمور محظورة، وقد جعلها أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ لامتناعهم من الزَّكاة مما يبيح المعصوم"[12].

باب الذنوب والتشديد فيها:

2ــ **الأصل الحديثي:** «آيَةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ»[13].

([11]) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} [التوبة: 5]، رقم(25)، ومسلم، في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم(22).

([12]) مخطوط شرح الأنوار السنية للقمارشي، ورقة32.

([13]) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم(33)، ومسلم، في الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم(59).

النص المستعاد: قال القمارشي: "قال ابن بَزيزَة: أمَّا الخصال التي لا تكون إلاَّ في المنافق فناشئة عن قلبه وضيق صدره وارتسام حقيقة الجهل والكفر في محلِّه، وهي خلف الوعد وكذب الحديث وخيانة الأمانة.

وتابع القمارشي النقل في ذات الموضع مدرجاً اللفظ الآخر والأثر التفسيري المرتبط به: وفي لفظ آخر: « وإنْ عاهد غدر وإنْ خاصم فجر»، ويُروى أنَّ سائلًا سأل سعيد بن المسيب عن ذلك وقال له: " أفسد علي هذا الحديث معيشتي لأني لا أسلم من هذه الثلاث أو من واحدة منها ــ وضحك سعيد ــ ، ثم قال: أهمني من ذلك ما أهمك"، فسألت عنه ابن عمر وابن عباس فضحكا وقالا: لا أهمنا من ذلك ما أهمك، فسألنا عن ذلك النَّبي ﷺ فضحك وقال: "مالكم ولهن، إنما خصصت بها المنافقين، أما قولي إذا حدَّث كذب، فذلك فيما أنزل الله عليَّ: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1]، وأما قولي: إذا وعد أخلف فذلك فيما أنزل الله عليَّ: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ الآية [التوبة: 75] ، وأما قولي: وإذا اؤتمن خان، فذلك فيما أنزل الله عليَّ من قوله سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ الآية [الأحزاب: 72]، ثم قال لهم: لا عليكم من ذلك أنتم براء."

وتابع القمارشي سياق الأقوال المنقولة في توجيه الحديث قائلاً: وقيل: إنه محمول على زمن النَّبي ﷺ لأنه كان لا يواجههم بصريح القول، وقيل إنه في رجل بعينه وهو بعيد من ظاهر اللفظ لعمومه، وقيل إنه مخصوص بمن كان ذلك غالب حاله، وقيل إنه نفاق لغوي لا النفاق المشار إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145]، لأن النفاق إنما هو إظهار شيء وإبطان خلافه.

ثم عقّب القمارشي بنقل خلاصة رأي ابن بَزيزَة بقوله: قال المحققون من العلماء: المراد المستحل لذلك، أو منْ كان الكذب غالبًا على كلامه مستولِيًا على حديثه، والخيانة غالبة على أمانته، والخلف كثير في مواعيده، وأمَّا من كان الكذب في حديثه نادرًا، والخيانة في أمانته شاذة يدَّعي العذر فيها فلا يسلم من ذلك أحد[14].

باب صفة النار:

3ــ **الأصل الحديثي:** «إنَّ أدنَى أهلِ النَّار عذابًا ينْتَعِلُ بنَعْلين من نار، يَغْلِي دِمَاغُهُ من حرارة نَعْلَيْه»[15].

النص المستعاد: قال القمارشي: "قال ابن بَزيزَة: قد صحَّ أن أبا طالب أهون أهل النَّار عذابًا، وأنَّ الله سبحانه يخفف عنه لموالاته النَّبي ﷺ، وحسن عهده إليه"[16].

باب حوض النبي ﷺ وشفاعته لأمته وخروجهم من النار:

4ــ **الأصل الحديثي:** « يَخْرُجُ قومٌ من النَّار بشفاعة محمَّد ﷺ فَيَدْخُلُونَ الجنَّة، و يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ »[17].

النص المستعاد: قال القمارشي: "قال ابن بَزيزَة في "**شرح الأحكام**": هؤلاء هم الذين يخرجون بشفاعة رسول الله ﷺ بعد أن تأخذ النَّار منهم بقدر ذنوبهم، وقد ورد في الآثار أن أقصر مكث أهل النَّار من أهل لا إله إلا الله تسعمائة سنة، والسفع: اسوداد في الوجه والخدين. وفي بعض الآثار أن هؤلاء الذين يدخلون الجنَّة يسألون الله ــ عز وجل ــ أن يزيل عنهم الاسم فيعطون ذلك"[18].

([14]) مخطوط شرح الأنوار السنية للقمارشي، ورقة42.

([15]) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا، رقم(211).

([16]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة44.

([17]) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم(6566).

([18]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة48.

باب فضل الصحابة:

5ـــ **الأصل الحديثي:** « خَيرُ نِسَائِها خَدِيجَةُ بنتُ خُويلد»[19].

النص المستعاد: قال القمارشي ناقلاً عن ابن بَزِيزَة: "الضَّمير عائد إلى الأرض عند ذكر خديجة".

وتابع القمارشي سياق الاستدلال الفقهي والحديثي مكملاً نقل ابن بزيزة: "وفي الحديث أنَّ عائشة غارت وقالت له: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشِّدقين، هلكت في الدَّهرين، قد أبدلك الله خيرًا منها. فغضب عليه السَّلام وقال: «ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي حيث كذَّبني النَّاس، وواستني بمالها حيث حرمني النَّاس، ورُزقت الولد منها و حُرمته من غيرها»[20].

باب الاعتصام بالكتاب والسنة:

6ـــ **الأصل الحديثي:** قوله ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من قَبلكم شِبْرًا بِشِبْرٍ، وذِرَاعًا بِذراعٍ، حتَّى لو دَخلوا جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»[21].

النص المستعاد: قال القمارشي: "قال ابن بَزِيزَة: قوله عليه السَّلام: «لتَتبعن سنن مَنْ كان قبلكم» خرج مخرج الخبر وهو من معجزاته ﷺ، ومعناه – والله أعلم – النَّهي والتَّحذير" [22].

باب العلم

7ـــ **الأصل الحديثي:** قوله ﷺ: «لا تُصَدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكذِّبُوهم»[23].

النص المستعاد: قال القمارشي: "قال ابن بَزِيزَة: في " شرح الأحكام": يعني ما حدَّثوكم وانفردوا به و لم تعرفوه فهو عام في معنى الخاص" ـــ وقد أحال القمارشي في المخطوط إلى بقية كلامه في الأصل فقال: ـــ وانظر كلامه إلى آخره[24].

باب الفتن والتحذير منها وذكر الإمارة:

8ـــ **الأصل الحديثي:** قوله ﷺ: «لنْ يُفلِحَ قومٌ وَلَّوْا أمْرَهُمُ امرأةً»[25].

النص المستعاد: قال القمارشي: "وقال ابن بَزِيزَة: في "شرح الأحكام" –موجهاً سياق ورود الحديث التاريخي–: يوم الجمل معلوم الوقيعة وخبره مشهور"[26].

ثانيًا: ما جاء في كتاب الصلاة: باب المساجد

([19]) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب:{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ}[آل عمران: 43]، رقم(3432)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم(2430).

([20]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة59.

([21]) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم(3456)، ومسلم كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم (2669).

([22]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة66.

([23]) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب:{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا}، رقم(4485).

([24]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة 70.

([25]) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، رقم(4425).

([26]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة74.

9ــ **الأصل الحديثي:** « مَنْ سَمِعَ رجلًا يَنشُدُ ضَالَّة في المسجدِ فليَقُلْ لا رَدَّها اللهُ عليكَ، فإنَّ المساجدَ لم تُبْنَ لهذا»[27].

النص المستعاد: قال القمارشي: "فقال ابن بَزِيزَة: فهذا يدل على جواز السؤال في المسجد"[28].

باب الجمعة:

10ــ **الأصل الحديثي:** «إذا كانَ يومَ الجُمُعة، كانَ على كلِّ بابٍ من أبوابِ المَسْجِدِ ملائكةٍ يكتبونَ الأوَّلَ فالأوَّل، فإذا جلسَ الإمامِ طَوَوا الصُّحُفَ، وجاءُوا يَستمعُونَ الذِّكرَ»[29].

النص المستعاد: قال القمارشي: "قال ابن بَزِيزَة: أما طيّ الصُّحف فعبارة عن أنّهم لا يكتبون، فهل هو تنبيه على فضل البكور بحيث أنّ من لم يُبكِّر لا يُكتب له مثل ما يُكتب للمبكِّر؟ أو نفي للكَتْبِ مطلقًا في غير المبكِّر؟ وهو ظاهر اللفظ. وفي حديث الحارث بن أبي أسامة: "أنّ الملائكة يكتبون الناس على منازلهم، جاء فلان في ساعة كذا، جاء فلان والإمام يخطب، جاء فلان وقد أدرك الصَّلاة"، فهذا يدل على كَتْبهم لا ينقطع بجلوس الإمام"[30].

باب نوافل الصلوات:

11ــ **الأصل الحديثي:** «عليكُمْ بالصَّلاة في بيوتِكم، فإنَّ خيرَ صلاةِ المرءِ في بيتِه إلاَّ المكتُوبَة»[31].

النص المستعاد: قال القمارشي: "وقال ابن بَزِيزَة: أجمعوا على أن صلاة النَّافلة في البيوت أفضل خوفًا من الرِّياء والسّمعة، والجمهور من أهل العلم على أن صلاة التطوع منفردًا أفضل. وقال النُّعمان بن قيس: ما رأيت عبيدة السَّلماني متطوِّعًا في مسجد الحي قط. وقال بعض الصحابة: تطوع الرَّجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس كفضل الجماعة على صلاة الرَّجل وحده. وكان سويد بن غفلة لا يتطوَّع في المسجد، وقال بشر: ما رأيت الرَّبيع بن خيثم متطوعًا في مسجد الحي قط. وقال النَّخعي: سئل حذيفة بن اليمان عن التَّطوع في المسجد بعد الفريضة، فقال: إني لا أكرهه، بينما هم جميعًا إذا اختلفوا. والمنقول عن مالك أن التنفل في البيت أيضًا[32].

ثالثًا: ما جاء في كتاب الزكاة: باب فضل الصدقة والنفقة على العيال

12ــ **الأصل الحديثي:** «يا معشَرَ النِّساءِ، تَصَدَّقْنَ، فإنّي رَأَيتُكُنَّ أكثَرَ أهلِ النَّارِ»[33].

النص المستعاد: قال القمارشي: "قال ابن بَزِيزَة: فيه دليل على أنَّ ذكر غلبة النِّساء على عقول الرِّجال ليس بغيبة، وإذا ذهبنَّ بعقل الحازم، فما ظُنُّك بغيره. وفيه الشَّفاعة للمساكين".

([27]) رواه البخاري كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد ...، رقم(568).

([28]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة90.

([29]) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم(3211)، ومسلم، كتاب الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة، رقم (850).

([30]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة106.

([31]) رواه أبو داود في سننه، باب تفريع أبواب الوتر، باب في فضل التطوع في البيت، رقم(1447).

([32]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة113.

([33]) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، رقم(1462).

وتابع القمارشي نقل توجيه ابن بزيزة للفظ الحديث قائلاً: "وقوله:(رَأَيْتُكُنَّ) أي رأيت صنفكنَّ لا المخاطبات، وأكثريتهنَّ هو السَّبب في أمرهنَّ بالإكثار"[34].

رابعًا: ما جاء في كتاب الصيام: باب صيام التطوع:

13ــ **الأصل الحديثي:** « إيَّاكُمْ والوِصَالَ» قيل: إنَّكَ تُواصِلُ، قال: «إنِّي أبيتُ يُطعِمُنِي ربِّي ويَسْقِينِ»[35].

النص المستعاد: قال القمارشي: "وقال ابن بزيزة: حدثني بعض الصوفية أنَّه واصل ستين يومًا، قال: وواصل غيره أكثر على ما ذكره أهل الدقائق[36].

خامسًا: ما جاء في كتاب الحج: باب فضل الحجِّ والعُمْرة:

14ــ **الأصل الحديثي:** «مَنْ أَتَى هذا البيتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، و لم يَفْسُقْ، رَجَعَ كما وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[37].

النص المستعاد: قال القمارشي: " واختار ابن بزيزة أنَّ هذه الطَّاعات تكفِّر الكبائر"[38].

15ــ **الأصل الحديثي:** «العُمْرَةُ إِلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بينهما، والْحَجُّ الْمَبْرُورُ ليسَ لهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّة»[39].

النص المستعاد: قال القمارشي: "قال ابن بَزِيزَة: قال العلماء: شرط الحج المبرور حِلِّية النَّفقة فيه، وسُئِل مالك عمَّن حجَّ بمال حرام فقال: حجّه يُجزئ، وهو آثم بسبب جنايته"[40].

([34]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة132.

([35]) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال، رقم(1966)، ومسلم، كتاب الصِّيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، رقم(1103)

([36]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة144.

([37]) رواه البخاري، أبواب المحصر، باب قول الله تعالى: {فَلاَ رَفَثَ} [البقرة: 197]، رقم(1819).

([38]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة148.

([39]) رواه البخاري، أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، رقم(1773)، ومسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة، رقم(1349).

([40]) مخطوط شرح الأنوار السنية، ورقة149.

الخاتمة والتوصيات:

الخاتمة:

في ختام هذا البحث الذي تتبع شذرات علمية مستعادة من كتاب "مطامح الأفهام" للإمام ابن بزيزة (ت: 673هـ)، والمودعة في طيات مخطوط "شرح الأنوار السنية" للإمام القمارشي (ت: نحو 860هـ)، خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– أن عمل القمارشي لم يكن مجرد شرح تعليمي لمتن ابن جزي، بل كان وثيقة تاريخية ومستودعًا حفظت للمكتبة الإسلامية بعض ما ضاع من كنوز التراث، ومنها نصوصاً من الجزء المفقود لكتاب "مطامح الأفهام".

– أظهرت الدراسة الأمانة العلمية العالية والاطلاع الواسع للإمام المغمور القمارشي، وتوظيفه لمسلكي النقل المباشر من الأصول، والوساطة العلمية عبر أئمة عصره كالأُبّي، مما يجعله مصدراً موثوقاً في استعادة التراث.

– نجاح البحث في استعادة وتوثيق (15) نصاً نادراً وعزيزاً من الجزء الأول المفقود تاريخياً لكتاب "مطامح الأفهام في شرح كتاب الأحكام" للإمام ابن بزيزة التونسي (ت: 662هـ)، شملت أبواب الاعتقاد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

التوصيات:

ـضرورة تتبع الشروح المغربية والأندلسية، لاستخراج الاقتباسات والنصوص المفقودة من أمهات الكتب المفقودة وتوثيقها.

ـ أقترح مشروعاً علمياً لاستعادة بقية نصوص كتاب "مطامح الأفهام" من خلال تتبع النقول عنه في "إكمال إكمال المعلم" للأبي، والشروح الأخرى التي نقلت عنه، لعلها تكتمل صورة الجزء المفقود من كتابه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

- الأحكام الشرعية الصغرى، عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت: 581 هـ)، تح: أم محمد بنت أحمد الهليس، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم، جدة، ط1، 1413 هـ - 1993 م.
- ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (ت 938هـ)، تح: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي - بيروت/ لبنان، ط1، 1403هـ.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003 م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
-قصد السبيل في معرفة أسباب التنزيل، تح: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، ط1، 1444 هـ - 2023 م.
- مطامح الأفهام في شرح كتاب الأحكام، أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم التونسي المالكي، الشهير بـ (ابن بزيزة)، تح: إبراهيم بن محمد وبلوش، دار أسفار لنشر وتوزيع الكتب والرسائل العلمية (الكويت)، بالتعاون مع مكتبة الإمام الذهبي، ط1، 1444 هـ / 2023 م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت 1036 هـ)، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، ط2، 2000 م.